التوافق الزواجي وتأثيره على الأبناء

أعداد

الباحث / حسن عبد المحسن محمد حسن حبيب غلام الحبيب

إشراف

أ . د/ حسين محمد سعد الدين الحسيني

أستاذ علم النفس

بكلية الآداب – جامعة المنصورة

المجلة العلمية لكلية رياض الأطفال- جامعة المنصورة

المجلد الخامس - العدد الأول

يوليو ٢٠١٨

التوافق الزواجي وتأثيره على الأبناء

أ/ حسن عبد المحسن محمد حسن حبيب غلام الحبيب *

المقدمة :

يعد علم النفس من العلوم الإنسانية التي تسعى إلى دراسة السلوك الإنساني في مواقف متعددة وفهمه والتنبؤ به والتحكم فيه، وحل جوانبه الغامضة وغير المتوافقة.

وبما أن الزواج والحياة الزوجية من أهم الأحداث السلوكية في حياة كل فرد، فإن البحث الحالي يسعى إلى توظيف إمكانات علم النفس في تناول الحياة الزوجية فالزواج بالنسبة لمعظم الناس العلاقة الأكثر حميمية والتي يقيمونها بإرادة والزواج قد يكن في نفس الوقت أحسن أو أسوء ما يحدث للشخص، فعندما تنجح العلاقة ستكون مصدر إشباع للشخص وتشعره بأنه ينتمي للنصف الأخر وتمنحه القوة لمجابهة المصاعب. وعندما تفشل العلاقة الزوجية فإنها تؤدي إلى التعاسة أكثر مما يتصور الشخص. (Eiden, 1995: 32)

كما أن الزواج من أقدم النظم الاجتماعية التي عرفتها البشرية عبر تاريخها الطويل وأكثرها استقرارا وقبولًا وإجماعًا عند كافة التجمعات البشرية والفلسفات والأديان السماوية على وجه الخصوص. فهذه جميعًا قد أجمعت على أهمية وضرورة الإيواء والسكنى تحت سقف الحياة الزواجية، وحثت على الاحتماء بها من الأخطار والسلوكيات الاجتماعية غير المقبولة. فوضعت له من التشريعات والقوانين ما يكفل قيامه على أساس قويم، يضمن انبثاق أسرة سليمة

* باحث

تكون أساسًا لمجتمع سليم، فبالزواج يتم إشباع أهم الدوافع الفطرية وأقواها، وهي الدافع الجنسي، ودافع الأمومة ودافع الأبوة، وذلك في جو صحي سليم يسوده الحب والتعاطف، والزواج يعني أيضًا إكساب شرعية الوجود للوليد الإنساني وتحديد هويته وكينونته وانتمائه. (مشيرة اليوسيفي، ١٩٩٠، ٢٧)

لهذا فالزواج مطلب من المطالب الأساسية للفرد البالغ لبناء الأسرة التي ينعم فيها بالسعادة والتي تدعمه وتسانده في كل الأمور...، وذلك لا يحدث في كل الزيجات، بل يكون في الزيجة التي تسعى لتحقيق التوافق والتكيف بين الزوجين، والذي تمتد آثار لباقي أفراد الأسرة، مما ينعكس أثره على المجتمع كله، لهذا فالزواج السعيد ارتبط بوجود ما يسمى بالتوافق الزواجي " Marital Adjustment".

لذلك فللزواج أهمية كبيرة، حيث أشار محمد السيد عبد الرحمن (١٩٨٧) إلى أن الزواج يعتبر أملًا لمعظم الشباب من الجنسين، وذلك لما يحققه من التوافق النفسي والاجتماعي لديهم، بل أن هدف المجتمع المحافظة على كيانه من خلال تحقيق احتياجات المجتمع وكذلك احتياجات أفراده، وذلك لا يتأتى إلا عن طريق الزواج، وينتج عن ذلك علاقة وثيقة بين الزوجين يمكن تسميتها "العلاقة الزواجية".

وتلك العلاقة كما ذكرت (هالة سيد عبد العزيز ،١٩٩٨: ٤٧) تعتبر رابطًا وثيقًا يربط بين الزوجين، وبقدر قوة ومتانة ذلك الرابط بقدر تماسك الزواج، مما يزيد التفاعل العائلي بين جميع أفراد الأسرة، بل أن هذا الرابط يعتمد على وجود التوافق والانسجام في شتى مظاهر الحياة مما يزيد التوافق بينهما.

وفي مقابل ذلك فقد حدثت مجموعة من التغيرات التي أثرت في الأسرة، ودرجة التماسك الزواجي، ومن تلك التغيرات ما ذكر (محمود عبد القادر ،١٩٨٧: ٥٢): خروج المرأة (الزوجة) للعمل وتحول الأسر للفردية، وزيادة المستوى التعليمي للزوجين، مما نجم عنه بعض المشكلات التي قد تعوق الزوجين وتهدد العلاقة الزواجية، ومنها ما أشار إليه (عبد السلام إبراهيم محمد، ٢٠٠٥: ٧٦): الجوع النفسي بسبب عدم إشباع الحاجات الأساسية، واضطراب الأبناء وانحرافهم، وتدهور الأخلاق وازدواجية القيم، وضعف المستوى الثقافي للأسرة، ووجود أخطاء في عملية التنشئة الاجتماعية، هذا بالإضافة لمشاكل أكثر وضوحًا مثل غلاء المهر، وعدم وجود السكن المناسب مما يؤدي لتأخير سن الزواج، والكثير من الاضطرابات الأخرى.

من جهة أخرى فانفصام الرابطة الأسرية هو خطر كبير على الزوجين وأبنائهما فضلًا عما يترتب عليه من آثار نفسية، تربوية، اجتماعية، قانونية، اقتصادية وسياسية مما دفع بالمفكرين والباحثين والدارسين في هذه المجالات إلى اعتبار الأسرة من أهم مجالاتهم البحثية.

ويعتبر الفهم الجيد للزواج وكيف يمتد عبر الزمن، من الحاجات الأساسية ففي الوقت الذي يسعد فيه الكثير بالزواج في بدايته نجد عددًا كبيرًا منهم يلجئون للطلاق فيما بعد، فقد وجدت دراسة "ماك دونالد، ١٩٩٥، McDonald" أن نسبة الطلاق قد قاربت ٥٠٪ في العقود القليلة الماضية حيث ٥٥٪ من الأمريكيين و٤٥٪ من الأستراليين و٤٢٪ من الإنجليزيين و٣٧٪ من الألمانيين تنتهي زيجاتهم بالطلاق أو يستمرون في علاقات غير مرضية. (سوزان اسماعيل، ١٩٩١، ٤)

وهذه النسب المرتفعة من الطلاق لا تقتصر على الدول الغربية فقط بل كذلك نجد في الدول العربية تزايدًا مطردًا لحالات الطلاق.

على أي حال فإننا بحاجة إلى أن نتوافق ونتكيف مع هذه الظروف بطريقة مقبولة، لذلك فلابد لنا من معرفة ما يسمى بالتوافق النفسي بمعناه العام، حيث أنه مطلب أساسي لكل مخلوق، لذلك فمن الضروري إلقاء الضوء على ذلك المصطلح. فذكر (حامد زهران ،١٩٩٧: ٢٢) أن التوافق النفسي عبارة عن عملية دينامية مستمرة تتناول السلوك والبيئة التي يحدث فيها بالتعديل حتى يحدث توازن بين الفرد والبيئة وإشباع حاجات الفرد، وتحقيق مطالب البيئة التي يعيش فيها.

لذلك فالتوافق النفسي عملية مستمرة لا يتوقف حدوثها ما دام الفرد حيًا، وهي تتناول سلوك الفرد فتعدله بما يتلاءم مع البيئة التي يعيش فيها، وكذلك تتناول البيئة فتحاول تغييرها بما يتناسب مع أهداف الفرد فيها، إذن فهي عملية مزدوجة تستمر حتى يشبع الفرد حاجاته وكذلك تتحقق مطالب البيئة، بناء على ما سبق فقد تعددت أبعاد التوافق النفسي، حتى شملت جوانب الحياة كلها، ومنها التوافق الزواجي Marital Adjustment والذي يتضمن مجموعة من الأبعاد أشارت إليها (راوية محمود دسوقي ،١٩٨٦: ١٥):

١- **الخطوبة والاختيار الزواجي:** وتشمل اختيار الزوج لشريك حياته وتفاهمهما ورضائهما عن الاختيار.

٢- **التوافق الأسري:** أي الانسجام والاتفاق بين الزوجين على كافة أمور الحياة الأسرية.

٣- **النضج الانفعالي والعاطفي:** أي التجاوب الروحي والاتزان النفسي والعصبي وبادلهما الحب والتسامح فيما بينهما.

٤- **العلاقات الشخصية:** وتشمل العلاقات القائمة بين الزوجين في إطار الأسرة والزواج ويكون أساسها الاحترام المتبادل.

٥- **العلاقات الاجتماعية:** أي السعادة في إقامة علاقات مع الآخرين والاتصال الاجتماعي في سهولة ويسر.

٦- **التوافق الجنسي:** ويتضمن السعادة الزوجية والإشباع والرضا الجنسي والعاطفي والاستقرار الزواجي.

لهذا فالتوافق عملية مهمة تدخل كل جوانب الحياة وشرايينها، فهو بمثابة الدم الذي يجري في العروق، فلا يستطيع الفرد العيش دون حدوث عملية التوافق في حياته، وإذا كان هذا هو الأمر بالنسبة للتوافق النفسي فإن الأمر لا يقل أهمية بالنسبة للتوافق الزواجي فهو يعد أهم من التوافق النفسي، حيث أن السعيد من سعد في بيته ولو أراد الناس كلهم أن يحزنوه، والتعيس من شقي في بيته ولو أراد الناس كلهم أن يسعدوه، ولذا فلابد من رضا الزوجين عن بعضهما واختيارهما، واتفاقهما في الرؤية العامة للحياة، وتسامحهما، والاحترام المتبادل بينهما، وقدرتهما على إقامة علاقات سوية مع الآخرين، إضافة لرضاهما عن العلاقة الجنسية بينهما، مما يساهم في وجود التوافق الزواجي بينهما.

تعريف الزواج وأهميته

الزواج هو تلك العلاقة الاجتماعية الوحيدة الدائمة بين الرجل والمرأة التي يباركها الله سبحانه وتعالى لأنها الأساس الشرعي السليم لتكوين الأسرة

خلية المجتمع الأولى يقول تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً أَن فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾" (سورة الروم، الآية ٢١)، وهو من أهم الأحداث الكبرى في حياة الإنسان، تلك الأحداث هي الميلاد والزواج والموت. أما الميلاد والموت فيحدثان دون أن تكون لنا يد فيهما، أما الزواج فالإنسان هو الذي يقرر بمن سيتزوج ومتى (محمد السيد عبد الرحمن، ١٩٩٨: ٩٦).

والزواج أمل الغالبية العظمى من الشباب ذكورًا وإناثًا وخاصة في مرحلة العقد الثالث من الحياة لما يسهم به في تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي لديهم ولأن الزواج يمثل قنطرة عبور بين احتياجات المجتمع لكي يحافظ على كيانه واحتياجات الأفراد لتحقيق ذاتهم وهو بناء تأسيسي لإشباع توقعات كل من الفرد والمجتمع وهو أحد الشعائر المهمة للعبور من تبعية الطفولة إلى الحرية والمسئولية المميزة للشخص الراشد.

والزواج مطلب أساسي من مطالب النمو الذي إذا تحقق إشباعه بنجاح أدى إلى الشعور بالسعادة وأدى إلى النجاح في تحقيق مطالب النمو مستقبلًا، بينما يؤدي الفشل في إشباعه إلى نوع من الشقاء وعدم التوافق مع مطالب الفترات التالية من الحياة. فللزواج إذن أهميته الكبيرة كعملية اجتماعية وكخطوة أساسية في تكوين الأسرة وللدور الذي يسهم به في تحقيق التوافق النفسي لكل من الرجل والمرأة فالزواج هو السبيل الذي يلتمس فيه كل منهما طريقه إلى شريك من الجنس الأخر يجد عنده الحب والدفء والوفاء والصدق ويحقق له السعادة الشخصية ويجنبه الغواية ويشبع له العديد من حاجاته النفسية

والاجتماعية والفسيولوجية التي يصعب تحقيقها دونه. (المرجع السابق، ١٩٩٨: ٧١)

الحاجات التي يشبعها الزواج:

يسهم الزواج في إشباع العديد من الحاجات والدوافع التي يصعب إشباعها دونه فهو يشبع:

١- **الدافع الجنسي:** الذي هو الدافع البيولوجي الوحيد الذي يتأجل إشباعه عند كثير من الشباب في مجتمعنا، إلى ما بعد الزواج، والجنس كدافع قوي يعد أحد الحاجات ذات الاهتمام وذات المكانة الأساسية في العلاقات الزوجية الذي يمكن بإشباعه تحقيق الإرضاء النفسي والراحة الجسدية ولا يقف إشباع الدافع الجنسي على جانبه الفسيولوجي فحسب بل هو إشباع نفسي في الوقت ذاته.

ولا شك أن إشباع الدافع الجنسي عن طريق الزواج يحدث إرضاءً نفسيًا وجسديًا معًا في علاقة يرضى عنها المجتمع وهو مالا يمكن أن يتحقق في علاقة جنسية أخرى غير شرعية.

٢- **الحاجة للحب والتقدير:** ففي دراسة "ستروس Strauss" على عينة من الشباب والفتيات عددهم ٤٠٠ والمقترنين في خطوبة والمتزوجين بالفعل منذ أقل من سنة كانت هناك قائمة بأهم الحاجات التي كانوا يأملون إشباعها عن طريق الزواج فجاءت الحاجة (إلى شخص يحبني) هي أول الحاجات لكل من الرجال والنساء بينما جاءت الحاجة (إلى شخص أبوح له بأسراري) في

المرتبة الثانية، فالحب دافع قوي نحو التعاون في مواجهة مشكلات وإحباطات الحياة لأنه علاقة مختارة، ويتبعه الشعور بالأمن والاطمئنان وأن التأييد العاطفي إنما يأتي نتيجة أن الشخص محبوب من الآخرين ويحبهم لذاتهم وأنه ذو قيمة لديهم.

٣- **الحاجة لتأكيد الذات وإثبات الهوية:** فالانفصال عن الأسر الأصلية وتكوين أسرة جديدة يدعم الشعور بالذات وإثبات الهوية، فقد أوضحت دراسة هردر عن تحقيق الذات والحالة الزواجية والتوافق الشخصي لدى النساء المتزوجات، أن عامل التوافق يرتبط ارتباطًا موجبًا وعاليًا بالتوجه الداخلي للذات (تحقيق الذات) ويرتبط ارتباطًا سالبًا وعاليًا بالعصابية والقلق الصريح ووجود علاقة موجبة بين الوقت الذي مضى على الزواج وتحقيق الذات كما وجدت علاقة ارتباطيه موجبة وعالية بين الانفتاح في العلاقات والمرغوبية الاجتماعية، وأن الرضا عن الدور الزواجي يرتبط إيجابيًا بمعدلات السعادة الزوجية وأن مستويات الأمزجة الخمسة (المرح/الاكتئاب، ثراء الحياة/فزغ الحياة، الصحبة/العزلة، الهدوء/القلق، الطاقة/التعب) ترتبط إيجابيًا بعامل التوافق، ولا توجد علاقة بين مستويات المزاج والانفتاح وان بعض خصائص الشخصية كالانفتاح والتوافق والاستمتاع بالحياة ترتبط بتحقيق الذات ووظائف الشخصية المتكاملة. وفي دراسة أفاري عن العلاقة بين نجاح الزواج وتحقيق الذات لدى الأزواج المتزوجين من عاملات، وجدت علاقة بين تحقيق الذات

والعلاقات الزوجية الناجحة، حيث أن هؤلاء الأزواج يحققون ذواتهم بدرجة عالية من خلال الزواج.

٤- كما يشبع الزواج الحاجة إلى الأمومة عند المرأة والحاجة للأبوة عند الرجل. (بلميهوب كلثوم، ٢٠٠٤: ٦٥)

الزواج والصحة

لا شك أن إشباع هذه الحاجات يؤدي إلى تحقيق السعادة والتوافق النفسي والصحي والاجتماعي فقد وجدت دراسة جينيفياف وجماعتها، أن الرجال المتزوجين أكثر المجموعات الأربعة شعورًا بالسعادة (رجال متزوجون، نساء متزوجات، رجال غير متزوجين، نساء غير متزوجات) وأن الرجال غير المتزوجين أقل سعادة من النساء الغير المتزوجات. وأوضحت دراسة جونس أن المتزوجين لديهم قدرة أكبر على التحكم في مشاكلهم الانفعالية من العزاب. أما دراسة جلان ١٩٧٥ التي أجريت على عينة قوامها ١٨٤١ من الذكور و٢٠١٢ من الإناث (وتحتوي على المتزوجين والأرامل والمطلقين وغير المتزوجين) وتتراوح أعمارهم بين ١٨ إلى ٦٠ سنة في الفترة ما بين ١٩٧٢ و١٩٧٤. وتوصلت إلى أن الأشخاص المتزوجين يقررون سعادة شاملة عن الأشخاص غير المتزوجين بالنسبة للذكور والإناث على السواء (دالة عند ٠,٠٥) والنتيجة في صالح الإناث أكثر من كونها في صالح الذكور. (بلميهوب كلثوم، ٢٠٠٤: ٣٨)

وفي دراستين أجريتا سنة ١٩٧٥، وسنة ١٩٧٦ اتضح أن هناك علاقات ارتباطية إيجابية بين مشاعر السعادة وحالة الزواج في مقابل عدم الزواج، وهذا التأثير أعلى لدى الذكور منه لدى الإناث ولدى الأكثر شبابًا. كذلك بينت أن

الرجال غير المتزوجين أقل سعادة من النساء غير المتزوجات، مما يوحي بأن فائدة الزواج للرجال أكثر من فائدته للنساء، ويعود جانب من هذا إلى أن النساء عمومًا يعبرون عن درجة الشعور بالرضا أكثر من الرجال. (Eiden, 1995: 33)

كما بينت ذلك دراسة على عينة متكونة من ٨٦ من المتزوجين (٤٥ ذكور، ٤١ إناث) و١١٩ من غير المتزوجين (٦٠ ذكور، ٥٩ إناث) وتشمل العزاب والمطلقين والأرامل واستخدمت اختبار التوافق النفسي العام والمهني للراشدين ترجمة وتعريب عباس عوض والذي يتكون من ١٦٠ سؤالًا، وتوصلت إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ٠,٠١ بين المتزوجين وغير المتزوجين في أبعاد التوافق المنزلي والصحي والاجتماعي والانفعالي والتوافق النفسي العام لصالح المتزوجين بينما لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المتزوجين وغير المتزوجين في التوافق المهني. كما وجدت الدراسة أن المتزوجين ذوو المؤهل العالي هم أكثر المجموعات توافقًا بينما المتزوجين ذوي المؤهل المتوسط هم أقل المجموعات في التوافق النفسي العام، وقد فسرت هذه النتيجة من أن المتزوجين أكثر ارتباطًا بأفراد الأسرة التي يرعونها وأكثر عونًا وحبًا لهم وأكثر توافقًا معهم بينما يكون غير المتزوجين أقل إحساسًا بذلك بل قد يشعرون أنهم عالة على الآخرين وأنهم محل كراهية منهم، فالزواج يؤدي إلى الترابط بين الأسرة وتقوية أواصر المحبة بينهم، الأمر الذي يصحب معه مزيدًا من التوافق الأسري لدى المتزوجين، ويفيد الزواج أيضًا في تحقيق التوافق الصحي لكل من الرجل والمرأة، بل أن معدل الموت يرتبط بدرجة كبيرة بالحالة الزواجية، فالمتزوجون لديهم معدلًا منخفضًا في كل مراحل الحياة عن الأشخاص الذين لم يسبق لهم الزواج أو تحطم زواجهم

بالموت أو الطلاق ويرجع دور الزواج في ذلك لما يسهم به في تحقيق التوازن العقلي والنفسي للمتزوجين لأن هناك شخصين يعتني كل منهما بالأخر، وكدليل على ذلك هو ارتفاع معدل الموت والانتحار بين المطلقين والأرامل تخلصًا من الأزمة النفسية الناشئة عن هذه الحالة كما أظهرت ذلك دراسة (Landis 1977) و يقول لينش (Lynch, 1977) بالرغم من المشكلات والضغوط التي يعاني منها بعض المتزوجين إلا أن غير المتزوجين يعانون أكثر فهم يموتون قبل المتزوجين وأمراض القلب لديهم ضعف عددها عند المتزوجين، كما وجد سيغرايفس أن أعلى نسبة داخل مستشفى الأمراض العقلية هي نسبة العازبين والمطلقين، وهذا ما جعل الزواج بالرغم من أنه أصبح محل تساؤل في المجتمع الغربي حيث أن العديد من الأفراد يتساءلون عن مصداقيته كما هو الحال في أمريكا فإن عدد المتزوجين لا يتناقص فهو يسهم في مساعدة الفرد على مواجهة الضغط. (Gattis, 2004: 53)

وكذلك يسهم الزواج في تحقيق التوافق الاجتماعي للمتزوجين نظرًا لما للزواج من قيمة اجتماعية فالذي يقاوم الزواج غالبًا ما يشعره الأهل والأصدقاء أنه منبوذ أو سيكون منبوذًا إذا استمر على هذه الحال وكثيرًا ما يشعر العزاب والمطلقين أنهم أقل حظًا في حياتهم وأنهم أقل قدرة من الآخرين على تكوين علاقات اجتماعية حقيقة وصادقة مع الآخرين، ويسهم الزواج بدرجة كبيرة في تحقيق التوافق الانفعالي فتزول معه عوامل القلق والخوف من المستقبل أو تقلبات الحياة، ويعد على نطاق واسع وسيلة للوقاية والعلاج معًا من أعراض العصاب، فشعور الفرد أنه مرغوب فيه من الطرف الآخر يعطيه إحساسًا بالقيمة والتقدير كما أن ارتباطه بشخص آخر يجنبه الخوف من الوحدة زيادة على أن

وظيفة الوالدية تعطي شعورًا بالارتياح والسعادة. (محمد بيومي خليل، ١٩٩٠: ٣٢).

وقد أكدت دراسات "هوفمان (Hoffman, 1970)"، "عبد الرحمن، ١٩٨٠"، "عبد الرؤوف ١٩٨١" ودراسة سعدان ١٩٩٢ أن الخلية الزوجية عمادها الحب ودوام التوافق، فالتوافق الزواجي قرين الرضى عن الذات وتقديرها والاتزان النفسي وهذا هو روح الحياة الزوجية السعيدة وليس معنى ذلك انعدام المشكلات بين الطرفين ولكن التوافق الزواجي والتكيف السريع والاتزان العاقل هو الذي يحفظ للخلية الزوجية حياتها بكل سعادة ونشاط ورضى، أما إذا عظمت المشكلات الزوجية وانعدام التوافق بين الطرفين واستحكمت هذه المشكلات وأزمنت، فإن الخلية الزوجية سرعان ما تتداعى بعوامل الصراع النفسي والقلق والاكتئاب ويسود الشقاء بين أفرادها، وأن النجاح في القيام بالدور الزواجي يعطي الإحساس بكفاءة الدور الأسري ومسايرة الزوجين للتوقعات وكسب العيش والمحافظة على الأسرة والمساندة الانفعالية وتنشئة الأطفال كل ذلك يؤدي إلى الإحساس بالكفاءة والإنجاز والثقة بالنفس مما يجعل الفرد يقيم نفسه تقييمًا إيجابيًا يكشف عن تقدير الذات. (بلميهوب كلثوم، ٢٠٠٤: ٤)

ومما سبق يتضح أهمية موضوع التوافق الزواجي في تحقيق الأهداف السامية لوجود الإنسان.

مفهوم التوافق الزواجي Marital Adjustment:

المفهوم المعجمي للتوافق الزواجي

إذا نظرنا لمصطلح التوافق الزواجي فنجده مكونًا من لفظين: التوافق، الزواجي:

أ- التوافق Adjustment:

جاء في المعجم الوسيط (١٩٨٥-ب) أن التوافق من وفِقَ، ويقال وفق الأمر يتفق وفقا، أي كان صوابًا موافقًا للمراد، واتفق مع فلان: أي وافقه وقاربه واتحد معه، والتوافق أن يسلك المرء مسلك الجماعة ويتجنب ما عنده من شذوذ في السلوك والخلق، فلهذا فالتوافق لغة يعني التآلف والتقارب، واجتماع وجهات النظر والأفكار، مما يقلل التنافر والتصادم.

ويعني التوافق في اللغة الاتفاق والتظاهر... وافقت فلانًا على أمر أي اتفقنا عليه معًا... والوفق من الموافقة بين شيئين كالالتحام، والتآلف، والتقارب، واجتماع الكلمة، ونقيضه التخالف، والتنافر، والتصادم. (ابن منظور، ١٩٥٥، ج٢، ٣٨٢)

ب- الزواج Marriage:

ذكر بن منظور (١٩٥٥) أن الزواج في اللغة اسم مصدر من زوج يزوج ومصدره تزويج وزواج وازدواج ومزاوجة، وكلها دالة على اقتران الشيء بشيء آخر... والزوج خلاف الفرد، ولفظ الزواجي منسوب للزواج، وهو اقتران الرجل بالمرأة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الأعراف آية ١٩)، لهذا فالزواج هو اقتران الذكر بالأنثى على ضوء معايير معينة.

يتضح مما سبق أن مصطلح التوافق الزواجي في اللغة يدل على تقارب وتآلف بين زوجين اثنين (ذكر وأنثى) من خلق المولى عز وجل.

المفهوم في موسوعات علم النفس:

التوافق Adjustment

ذكر (حامد زهران، ١٩٩٧: ٢٥) أن مصطلح التوافق Adjustment يدل على معنى التكيف عامة، وبصورة خاصة فإنه يدل في العلاج النفسي على العملية التي ترمي لتحقيق التوافق والتواؤم بين الشخص-الشاذ-ومحيطه الاجتماعي الذي يعيش فيه.

الزواج Marriage

ومصطلح الزواج يقابل في الإنجليزية Marriage لذلك فقد أشار نوربير (٢٠٠٠) أنه تنظيم اجتماعي يشير إلى اتحاد بين الذكر والأنثى بغية تأسيس الأسرة، حيث ينويان العيش معًا للنهاية ويقوم على الانسجام والتفاهم الفكري، لهذا فالتوافق الزواجي في موسوعات علم النفس مفهوم يدل على تلك العملية التي تهدف لتحقيق التقارب بين الزوجين محققة الانسجام والتفاهم الفكري بينهما، مما يشجعهما على العيش معًا للنهاية.

المفهوم السيكولوجي للتوافق الزواجي

إذا كان المفهوم اللغوي للتوافق الزواجي يدل على تقارب الذكر والأنثى، وتوافقهما وتواؤمهما، فإن المفهوم السيكولوجي يدعم ذلك المعنى، فقد ذكر (كمال مرسي ،١٩٩٨: ٤٥) أن التوافق الزواجي عبارة عن قدرة كلا الزوجين على التواؤم مع الزوج الآخر، ومع مطالب الزواج، ويستدل عليه من خلال أساليبهما في تحقيق أهداف الزواج، وفي مواجهة الصعوبات الزواجية، وفي التعبير عن انفعالاته ومشاعره، وكذلك في إشباع حاجات الزواج من تفاعل

وتواصل وبذلك فالتوافق الزواجي يشمل سلوكيات قصديه إرادية للزوجين بناء على دوافع تدفع إليها، وأهداف تحققها، وحاجات تلبيها، وبذلك فهو يشمل كل تلك السلوكيات، ولهذا فالتوافق الزواجي يتضح من خلال الأساليب التي يتبعها الزوجان لتحقيق أهدافهما، فيشمل التصرفات المقصودة التي يقومان بها، أي أن له دافعًا يدفع الزوجين للسعي إليه وتحقيقه.

وإذا كان كمال مرسي قد أشار لأهمية التواؤم بين الزوجين لتحقيق التوافق الزواجي، فإن علاء الدين كفافي (١٩٩٩) فرق بين التوافق الزواجي وبين الرضا الزواجي، حيث ذكر أن التوافق الزواجي من نمط التوافقات الاجتماعية التي يهدف من خلالها الفرد لأن يقيم علاقات منسجمة مع الشريك الآخر، فيجد كلاهما ما يشبع حاجاته، مما يؤدي لحدوث حالة من الرضا عن ذلك الزواج، تسمى "الرضا الزواجي" "Marital Satisfaction" أي الرضا الزواجي يشير للمحصلة النهائية، في حين أن التوافق الزواجي يشير للعوامل والمصادر المؤدية لتحقيق ذلك التوافق وهذا ما أشارت إليه نتيجة دراسة جاميس وبرينت (Eiden, 1995: 36) حيث أشار إلى أن الرضا الزواجي محصلة نهائية تقوي التماسك العائلي وتزيد التوافق الزواجي، يتضح مما سبق أن التوافق الزواجي أشمل من الرضا الزواجي، وإن كان بعضنا يخلط بينهما، ولكن الرضا الزواجي يعتبر نتيجة لوجود التوافق الزواجي، كما أن التوافق الزواجي يشمل جميع خطوات التوافق ومراحله وعوامله مما يساهم في حدوث الرضا الزواجي.

ونتيجة للتقدم والرغبة في الوصول للأفضل دائمًا، فقد ظهرت بعض المصطلحات الجديدة، ومنها ما ذكر (سامي هاشم ،٢٠٠٠: ٣٤) حيث أطلق على التوافق الزواجي مصطلحا "جودة الزواج" "Quality of Marriage" هذا

مفهوم حديث نسبيًا، ولقد ظهر نتيجة الاهتمام الواسع بدراسة الجودة في جميع مجالات الحياة، ويرى أنه أحد الأهداف الأساسية للإرشاد الزواجي والأسري، حيث أنه يساعد الأسرة في القيام بواجباتها بل إن آثاره تنعكس على الأبناء، وباقي أفراد الأسرة ومستوى السعادة فيها.

كما أشار جاتس وآخرون (Gattis, et al., 2004) إلى أن التوافق الزواجي مفهوم متعدد الأبعاد يتحدد من خلال درجة التشابه بين الزوجين في الشخصية، لذلك فالفرد يبحث عن زوجة تتفق في سماتها وثقافتها وقيمها معه، ومن الملاحظ أنهم يركزون على الشخصية في حدوث التوافق الزواجي من خلال التشابه بين الزوجين، فكل زوج يبحث عن شريك مثله يشابهه في الشخصية والبيئة والثقافة، مما يساهم في تقاربهما وتوافقهما. وإذا كان جاتس وآخرون (Gattis, et al., 2004) قد ركزوا على التشابه بين الزوجين لحدوث التوافق، والاهتمام بعملية الاختيار الزواجي، فإن حسن مصطفى (٢٠٠٤) أضاف أن التوافق الزواجي يتضمن التوفيق في الاختيار المناسب، والاستعداد للحياة الزوجية والدخول فيها، والحب المتبادل، والإشباع الجنسي وتحمل المسئوليات، والقدرة علي حل المشكلات، والاستقرار والرضا الزواجي، والسعادة الزواجية والتصميم علي مواجهة مشكلاتهما، وتحقيق الانسجام والمحبة المتبادلة بينهما لذلك فالتوافق الزواجي ممتد منذ لحظة التفكير في الزواج وبدء عملية الاختيار، مع الاستعداد لذلك، ثم القدرة على تحمل أعباء ذلك الاختيار مع توافر الحب المتبادل، والإشباع الجنسي مما يساهم في وجود السعادة الزوجية وتحقيق الرضا الزواجي.

بل يمكن اعتبار الرضا الزواجي هدفًا للتوافق الزواجي، حيث ذكرت (نجلاء رسلان ،٢٠٠٦: ٢٩) أن التوافق الزواجي حالة وجدانية تعكس ما يجده الزوج من إشباع فكري وقيمي ووجداني، وهدف تلك الحالة الشعور بالرضا الزواجي، وتفرق بين التفاعل الزواجي Marital Interaction والتوافق الزواجي، حيث إن التفاعل الزواجي يعني التأثير المتبادل بين الزوجين، حيث يترتب سلوك كليهما على سلوك الزوج الآخر فالزوج مثلًا يلاحظ سلوك زوجته ويفهمه ويستجيب له بسلوك تلاحظه الزوجة وتفهمه وتستجيب له بسلوك آخر، وهكذا فالعملية متبادلة مستمرة.

تعرف (سناء الخولي) التوافق الزواجي بأنه: "التحرر النسبي من الصراع، والاتفاق النسبي بين الزوجين على الموضوعات الحيوية المتعلقة بحياتهما المشتركة، وكذلك المشاركة في أعمال وأنشطة مشتركة وتبادل العواطف". (سناء الخولي،١٩٩٩: ٢٤)

فالتوافق الزواجي هو درجة الشعور بالتواصل الفكري والعاطفي مع الطرف الآخر في العلاقة الزوجية بما يحقق لهما أساليب توافقية تساعدهما على التوائم مع مطالب الزواج وتخطي ما يعترض حياتهما من عقبات وتحقيق قدر معقول من السعادة والرضا.

تعقيب:

مما سبق يتضح أن التوافق الزواجي قد يبدأ قبل الزواج الفعلي من خلال إجراءات الزواج المتعارف عليها (الاختيار المناسب، والخطوبة...) لهذا فهو عملية دينامية تبدأ من لحظة التفكير في الزواج والإقبال عليه والاختيار المناسب، وتستمر لتدخل مرحلة الزواج الفعلي فيتوائم الزوجان فكريًا ووجدانيًا

... وتظهر مظاهره في مجموعة من الأمور كالتعاون والحب المتبادل، والإشباع الجنسي، وتحمل المسئولية الزوجية، وحل المشكلات بأسلوب مناسب في الوقت المناسب، وينتج عن ذلك حالة من الرضا عن الحياة الزوجية، وتتحقق السعادة الزوجية، هذا بالإضافة لوجود مجموعة من الملاحظات عن التوافق الزواجي، والتي منها ما يلي:

- أن التوافق الزواجي نسبي يختلف من زوج لآخر حسب رؤية كل زوج للزواج.
- أنه يتطلب توافر مجموعة من السمات في كلا الزوجين مثل: النضج الانفعالي، وجهة الضبط الداخلي، والفهم الصحيح للدين، والمرونة في التعامل مع الأمور، وعدم الأنانية والتضحية من أجل الآخرين، ومفهوم موجب للذات والانبساط.
- أن آثاره لا تقتصر على الزوجين فقط، بل تمتد للأبناء، مما يؤثر على المجتمع كله، والدخل القومي فيه.

ويتضح من التعاريف السابقة أن التوافق الزواجي أحد الأركان الهامة للزواج ولكن السؤال هو: ما المقصود بالتوافق الزواجي؟ وللإجابة على هذا السؤال نقول إن التوافق هنا لا يعني التطابق بين الطرفين (الزوج والزوجة) أو التماهي بينهما بحيث يصبحان شخصين في شخص واحد، هذا غير مطلوب لأننا بذلك نكون قد ألغينا شخصية الفرد وهذا غير منطقي، وفي رأي الباحث، ولكي نوضح المقصود بالتوافق الزواجي نلقي بالضوء على جانبين هامين:

١- **التقارب في المستوى والخلفية المادية والاجتماعية والتعليمية (الفكرية) للزوجين:** يتحقق قدر عال من التوافق كلما جاء الزوجان من

نفس الطبقة أو الشريحة الاجتماعية، أما أن يكون أحدهما من طبقة أو شريحة أعلى مكانة أو أكثر ثراءً على نحو ملحوظ فهذا يفقد التوافق أحد معانيه. وكذلك يتحقق قدر عال من التوافق كلما كان الزوجان على قدر متقارب من المستوى التعليمي ومن ثم المستوى الفكري، أما أن يكون أحدهما قد حصل على أعلى الدرجات التعليمية والآخر لم يحصل إلا على القدر اليسير منها أو لم يحصل على تعليم على الإطلاق فهذا مدعاة لإفقاد التوافق الزواجي واحدًا من أهم شروطه. فالشخص المتعلم يكون قد أثرى حياته بخبرات وتجارب وكون لنفسه منهجًا في الحياة والتفكير وأسلوب في الأداء على خلاف الشخص الذي لم تتهيأ له فرصة التعليم ومن ثم لا يكون قادرًا على مجازة الشخص المتعلم في كثير من المهارات والقدرات الذهنية أو العقلية. وينعكس هذا في الحياة اليومية في صورة اتخاذ القرار والتخطيط للأمور الحياتية المختلفة كما ينعكس على طرق وأساليب تنشئة الأبناء.

٢- **التفاهم والانسجام:** بمعنى القدرة على التعايش مع الآخر وتفهم احتياجاته ورغباته ونقاط ضعفه وقوته أو بكلمات أخرى "مفاتيح شخصيته" هنا تتضح أهمية توافر عنصر التفاهم والانسجام في تحقيق التوافق الزواجي. ولعل كثير من الزيجات تغرق في بحر هائل من المشكلات وقد تنتهي بالانفصال أو الطلاق ليس لأسباب مادية أو لفروق اجتماعيه أو فكرية وإنما لغياب عنصر التفاهم والانسجام وهذا العنصر يتطلب قدرًا علاجيًا من المرونة في التعامل مع الآخر وقدر مماثلًا من الصبر والتأني. فالتفاهم أو الانسجام لا يتحقق بسرعة وإنما يتطلب بعضًا من الوقت والعيش المشترك أو ما نطلق عليه نحن "العشرة" حتى

يكتشف كل من الزوج والزوجة شخصية الآخر ويبدأ في التعامل معهـا من هذا المنطق.

مظاهر التوافق الزواجي:

يعتبر التوافق الزواجي موضوعًا حيويًا يحدث بين الزوجين، ومع ذلـك يمتد أثره إلى من حولهم حيث يتم فيه إشباع مجموعة من الدوافع والحاجات فقد ذكر (محمد عبد الرحمن ،١٩٨٧: ٢٩) أن في الزواج يتم إشباع الدافع الجنسي من خلال إطار شرعي يرضى عنه الدين والمجتمع، مما يزيد الرضـا النفـسي والجسدي لدى الفرد، وكذلك يتم فيه إشباع دافع الوالدية، حيث أشـار(عـصام نور، ٢٠٠٢: ٢٣) إلى أن المرأة غير المنجبة تتعرض للإصابة بالعصاب نتيجة شعورها بالنقص وعدم إشباع دافع الأمومة والوالدية لديها، لأنها غيـر منجبـة، لذلك فقد توصلت بعض الدراسات لمجموعة من المظاهر والعلامات الدالة على حدوث التوافق الزواجي، والتي منها:

١- التواضع والتعاون بين الزوجين في أداء الأدوار.

٢- الشعور بالسعادة والرضا عـن الحيـاة، والراحـة النفـسية والـسلوك الاجتماعي المقبول.

٣- شعور الأبناء بالأمن النفسي.

٤- ظهور الدعم والمساندة من الطرف الآخر والأسرة، مما يساهم في حـل المشكلات بسهولة نسبيًا.

٥- الإشباع الجنسي، والتعاون الاقتصادي.

٦- النجاح والكفاءة في العمل، حيث أن التوافق الزواجي للفرد قد يزيد استقرار الفرد العامل في عمله.

٧- حصول كل من الزوجين على مطالبه وأهدافه، مما يعني اتفاق السلوكيات مع التوقعات، وكذلك الانسجام والقدرة على حل المشكلات وتقديم المساعدات لبعضهما.

٨- التواصل (غير اللفظي) الناجح وظهور الحب المتبادل بينهما.

٩- الرضا عن الزواج، وكذلك الطرف الآخر.

جاري، وستانلي (Gary & Stanley, 1984)، ومايكل أزواجايل (١٩٩٣)، وإدين (Eiden, 1999)، وأنجيلا وآخرون (Angela, et al., 1998)، وهالة سيد (١٩٩٨)، وعلي عبد السلام (٢٠٠١)، ورضا فاروق (٢٠٠٢)، وعبد الله جاد (٢٠٠٦)، ونجوى السيد (٢٠٠٦)، وشين وآخرون (Chen, et al., 2007)، وعائشة ناصر (٢٠٠٧).

المراجع

١- أحمد الصامدي ، هلال الجهوري (٢٠١١) العلاقة بين التوافق الزواجي والتطابق مع عمل المرأة، دراسات نفسية وتربوية، العدد ٧ جامعة اليرموك، الاردن

٢- حسام محمود زكي علي (٢٠٠٨): الإنهاك النفسي وعلاقته بالتوافق الزواجي وبعض المتغيرات الديمغرافية، رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التربية، تخصص الصحة النفسية، جامعة المنيا.

٣- حسن مصطفى عبد المعطي، وراوية دسوقي (١٩٩٣): التوافق الزواجي وعلاقته بتقدير الذات والقلق والاكتئاب. مجلة علم النفس-الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد (٢٨) ص٧-٣٢.

٤- حمود فهد القشعان (٢٠٠٠): تأثير العقم على تقدير الذات والتوافق الزواجي في الأسرة الكويتية "دراسة ميدانية مقارنة" مجلة كلية التربية- جامعة المنصورة، العدد (٤٢) ص١٨٣-٢١٤.

٥- حنان الأطرش (٢٠١٠) علاقة التوافق الزواجي ببعض المتغيرات"، رسالة ماجستير غزة، فلسطين.

٦- حنان الحلبي (٢٠١١) تأثير العوامل الاقتصادية على التوافق الزواجي"، رسالة دكتوراه مجلة جامعة دمشق بسوريا، المجلد ٢٧العدد الثالث والرابع(٧٩٩-٨٤٥).

٧- حنان ثابت مدبولي عبد الحميد (٢٠٠٢): التوافق الزواجي بين الوالدين كما يدركه الأبناء وعلاقته ببعض سمات الشخصية لديهم. رسالة دكتوراه، معهد الدراسات العليا للطفولة-جامعة عين شمس.

٨- رضا فاروق حافظ سيد (٢٠٠٢): بعض الأفكار اللاعقلانية السائدة لدى الزوجين وعلاقتها بمستوى التوافق الزواجي بينهما رسالة دكتوراه، كلية الآداب-جامعة المنيا.

٩- سامي أبو إسحاق (٢٠٠٧) المركز الوظيفي والتوافق الزواجي"، مجلة التربية العربية، المجلد ١٣ العدد٤٦ (٣٦٣-٤٠٧) المركز العربي للتنمية والتعليم القاهرة، مصر.

١٠- سمية جمعة أبو موسى (٢٠٠٨) العلاقة بين بعض المتغيرات الاجتماعية والتوافق الزواجي ، رسالة ماجستير غزة.

١١- سميرة علي أبو غزالة (٢٠٠٨): فاعلية الإرشاد بالواقع في تحسين التوافق الزواجي بين الزوجين. مجلة دراسات نفسية، رابطة الإخصائيين النفسيين المصرية (رانم) المجلد (١٨) العدد (٢) ص٣٣٣-٣٧٠.

١٢- يمينة مقبال هديبل (٢٠١١): الضغط النفسي وعلاقته بالتوافق الزواجي، مجلة دراسات نفسية، مخبر الممارسة النفسية والتربوية، العدد ٧، ديسمبر، الجزائر.

١٣- وفاء محمد عبد القوي زعتر (١٩٩٩) العلاقة بين التوافق الزواجي للوالدين ومستوى النضج الخلقي للأبناء. رسالة ماجستير كلية التربية- جامعة عين شمس.